من يسمع ؟

مهداة الى الأستاذ الحوماني

للاستاذ خليل رشيد

تفضل الأستاذ الحوماني قبل هنيهة من الزمن فأولاني ثقته لشرف المساهمة في كتابه من يسمع ؟ وها أنا أجيب دعوة الأستاذ الحوماني شاكراً له ثقته الغالية ، راجيا تفضله بالقبول :

من يسمع ؟

من يسمع عنوان جديد لكتاب جديد من مبدعات الأستاذ الحوماني وضعه بعد خروجه عن ألف فكرة لألف رجل في كتابه مع الناس . وللأستاذ الحوماني فكرة واحدة يعتز بها هي إيمانه بقول المنقذ الأعظم صلى الله على ذاته الزكية : لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ..

والكتاب فكرة لم تولد بعد . ولكنا نلمس روح الثورة والتمرد على المجتمع وعاداته المكبوتة في نفس الأستاذ التي ينبيء بها عنوان كتابه من يسمع ؟ وأكاد أسمع بحة صوته وهو يبث شكاته وأذاته من صدى عنوان كتابه هذا . وأستطيع أن أرى سحنة وجهه وقد بدت عليها سورة الغضب . وثورة الأديب ، وإني لأستشف قلبه وقد سطر عليه كلمة من يسمع ؟

أي نعم يا أستاذ

أصرخ ملء فمك

اغضب ملء جمجمتك

تألم ملء قلبك

فليس هناك من يسمع . ولن تجد من يسمع . ولو أخرجت ألف كتاب وكتاب على غرار فلان (١)

من يسمعك .. من يصغي لصرير قلبك .. من يسمع قلمك القاسي المرير وهو ينشد أنشودة الإصلاح . ويرعف بالم الحق الذبيح صابا وعلقما على صفحات فلان ؟

من يسمعك . وأنت ترجع لحنا حزينا . وتنشد نشيدا مؤلما فيه عنف الموت وصرامته على قيثار فلان ؟

من يسمع هذا اللحن الحزين والكل ثمل بكأس حواء (٢) يتغنون بوحي الدموع والنهود والقبل ؟

وقد جن الناس بالثر المجنون . فهم بين لاه بالثر وعابث بالعفاف . ليس هناك من يسمع ، أو يصغي لحديث فلان ، وأنشودة فلان ، وفيه صرامة الحق ومرارة الصراحة

من يسمع كلمة الحق وصرامة القول فيها . ومن يستسيغ مشرب كأس ماؤها صاب وعلقم . وأي مسمع لا ينبو النغم الشاكي الحزين ؟

من يسمع كلمة المصلح وهو يدعو إلى بيع موت عاجل بحياة آجلة ؟ من يصغي لحديث الرشد وهو يدعو إلى قتل اللذة المرذولة وموت العاطفة وكبح الشهوات . والانضمام تحت راية العقل ؟

من يسمع فرزة مبضع الجراح وهي تستأصل شأفة الداء . ولا تتقزز نفسه ؟

من يسمع نداء الضمير وهو يصرخ من الأعماق بمواساته

---

(١) فلان . ديوان شعر للاستاذ الحوماني

(٢) حواء ديوان شعر آخر للاستاذ الحوماني

السياسي ، وتحطيم القيود الأجنبية ، وأخذ يكتب النشرات الحماسية ناقداً فيها سياسة السلطان ورجال الدين وداعياً إلى تحطيم القيود ، ومحاربة الظلم والاستبداد ، على اختلاف صوره

كانت تركيا في ذلك الوقت تحت حكم السلطان «عبد الحميد» الذي وقف عقبة في سبيل الحركات الإصلاحية الكبرى ، والذي ألغى مجلس النواب ليصبح الحاكم المطلق في تركيا — والذي فرض رقابة شديدة على الشعب ، حتى ذكروا أنه ما من ثلاثة تكلموا معا في أمر من الأمور إلا وكان أحدهم جاسوسا للسلطان « عبد الحميد ... »

ولذلك لم تمض فترة طويلة حتى استطاع جواسيس السلطان القبض على زعماء جمعية الوطن ، وتقديمهم إلى المحاكمة ، وبذلك أبعد مصطفى كمال عن القسطنطينية ونفي إلى بلاد الشام ...

(الكلام بقية) عبد الباسط محمد حسن